بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 90 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:18\09\2024 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

بعد أن بحثنا في موقعية الآية السادسة والعشرين في سياق المقطع الذي كنا نتحدث عنه، يقع الكلام في البحوث التفصيلية المرتبطة بهذه الآية.

ومن البحوث التفصيلية المهمة المقصود من الذكر: الذكر على ما نص أئمة اللغة يرجع إلى أصلين لا ثالث لهما:

الأصل الأول: ما يدلل فيه على الجنس، الذكر في قبال الأنثى. وهذا حتماً ليس هو محل كلامنا.

الأصل الثاني: الذكر المقابل للنسيان، فعندما يقال تذكرت أي لم أنس، فالذكر بهذا الأصل بتمام مشتقاته ينبغي أن يكون مقابلاً للغفلة والنسيان. ومنه ذكر الله.

عندما يتقابل مفهوم مع النسيان والغفلة، هذا يعني أن المنسي والمغفول عنه كان له وجود عند الإنسان، وإلا لا يقال نسى، فالمعلومة الجديدة إذا سئل عنها لا يقال نسيتها، وبالتالي لا يقل تذكرتها، تذكرت ونسيت في مورد تكون المعلومة موجودة عندي من قبل، فإذا استحضرتها بالفعل فأنا ذاكر، وإذا غفلت عنها فأنا نفاسي.

إذاً هذه الكلمة لها هذه الخصوصية، فلا يقال للمعلومة التي لم تحصل عندي من قبل بأني ذاكر لها.

ومن هنا نستنتج نتيجة مهمة: أن التعبير بذكر الله يعني أن الله تبارك وتعالى بما له من جلال وجمال، أي التوحيد، أمر مرتكز عندي. لكن قد يعرض عليه الغفلة، فنسيت ذكر الله. وعندما استرجع واتنبه فتذكرته.

وهذا يؤكد الحقيقة القرآنية والروائية على أن الإنسان مفطور على التوحيد، لكن يغفل وينسى، وإلا لما صح أن نستعمل الذكر والنسيان، وذلك بعد أن بيّنا أن هذه الكلمة في حقيقتها اللغوية تدل على هذا المعنى.

فإذاً ذكر الله أي استحضار شيء كان موجوداً، والغفلة عن الله أي نسيان شيء كان موجوداً، وإلى هذا تشير الآية في سورة الأعراف {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا}[1] هذه الشهادة التي أقرينا أنه في يوم من الأيام عرض الله سبحانه علينا أنه أنا ربكم فقلنا بلى. هذه الشهادة ليست

[1] الأعراف: ١٧٢

شهادة لسان، هذه شهادة جبّلّة وفطرة أي في طينتي وتركيبتي أنا مركب ومخلوق على جينة التوحيد إذا صح التعبير.

انا في حد ذاتي موجود متعلق بغيري، هذا معنى {مِنْ طينٍ لازِب}[٢] فهذه حقيقتي. لكن قد تعرض الغفلة وقد يعرض النسيان.

وعلى هذا الأساس لا نحتاج إلى مزيد بحث لإثبات أن الذكر لا ينحصر بالذكر اللساني، كما يقول الفيض الكاشاني & في بعض بحوثه، يصنّف الذاكر إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: يجري الذكر على لسانه لا غير، وهذا يحصل كثيراً، عند بعض الشعوب وهو يسرق يقول بسم الله، هذا ذكر لساني، لكن لا يوجد ذكر قلبي.

الصنف الثاني: يتذكر الباري تبارك وتعالى في قلبه، لكن لا يجري شيء على لسانه.

الصنف الثالث: يجتمع اللسان مع القلب، لا شك أن الأول ليس ذكراً، بل هو جري على العادة، لكن وهو يفعل الحرام، هذا غافل عن الله سبحانه وتعالى، فمن يستذكر الله ويشعر برقابته وبجلاله وجماله لا يرتكب المحرم حين استذكاره.

إذاً لا نحتاج إلى مزيد لإثبات أن الذكر لا ينحصر بالذكر اللساني، بل يوجد روايات متعددة تدل على ذلك بوضوح -لا أريد أن أطيل البحث- لعل من أوضح هذه الروايات ما ذكره الشيخ الكليني & في الكافي بسند معتبر والصحيح عن أبي عبيدة عن أبي عبدالله × قال: (مِنْ أَشَدِّ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ذِكْرُ اللَّهِ كَثِيراً. ثُمَّ قَالَ لَا أَعْنِي سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَإِنْ كَانَ مِنْهُ وَلَكِنْ ذِكْرَ اللَّهِ عِنْدَ مَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ فَإِنْ كَانَ طَاعَةً عَمِلَ بِهَا وَإِنْ كَانَ مَعْصِيَةً تَرَكَهَا)[٣].

فقول الله أكبر وبسم الله هذا ليس صعباً، وليس من الأشد، فأشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً أي عندما أحل وحرّم. فهنا الإنسان يحتاج إلى ذكر الله، عندما يقف على مفترق طرق آخذ ملك الرّي واقتل حسيناً أو لا؟ هنا نحتاج إلى أن أتذكر الباري سبحانه وتعالى، أتذكر وعيده، أتذكر وعده، فهذا الذي ينفع.

فإذاً هذه الرواية تدل بوضوح على أن الذكر لا ينحصر بالذكر اللساني، الذكر اللساني إنما هو وسيلة تكشف عن الذكر الحقيقي. ولذا إذا كانت مجرد لقلقة لسان لا تقبل. ولذا في الآية الشريفة في سورة الأنفال {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون}[٤] أما إذا ذكر الله فكأنه مسألة عادية لم يتأثر فهذا ليس ذكر.

---

[٢] الصافات: ١١
[٣] الكافي (ط - الإسلامية)، ج٢، ص: ٨٠
[٤] الأنفال: ٢

وعن أمير المؤمنين × يقول: (الذِّكْرُ مُجَالَسَةُ الْمَحْبُوبِ)[٥] أحياناً الجليس مع جليسه يغفل عنه، كأن يفكر في شيء، فالرواية لم تقل مطلق المجالسة، بل مجالسة المحبوب والمعشق، فالإنسان إذا عنده حب وعشق فالحبيب لا يغفل عنه حبيبه. هذا هو الذكر الحقيقي. والذكر اللساني للوصول للذكر الحقيقي.

فإذاً الذكر يقابل الغفلة، ويقابل النسيان، الذكر يمنع عن المعصية، والغفلة هي سبب المعصية، والنسيان هي سبب المعصية.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الذاكرين والحمد لله رب العالمين

[٥] عيون الحكم و المواعظ (الليثي)، ص: ٦٢